



في بَلاط المُتنبي

(الحلقة الحادية عشر)

بقلم الأستاذ: محمد ولد إمام



تأمل معي قول المتنبي ويديعه حين يقول:

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ لَدَيْهِ
يَضَعُ الثَّوْبَ في يَدَيْ بَزّازِ
ولنا القَوْلُ وهْوَ أدْرَى بِفَحْوا
هُ وأهْدَى فيهِ إلى الإعْجازِ
ومِنَ النّاسِ مَن يَجوزُ عَلَيْهِ
شُعَراءٌ كأنّها الخازِبازِ
ويَرَى أنّهُ البَصِيرُ بِهذا
وهْوَ في العُمْيِ ضائِعُ العُكّازِ
كلُّ شِعْرٍ نَظيرُ قائِلِهِ فِيـ
ـكَ وعَقْلُ المُجيزِ عَقْلُ المُجازِ

ولعل أوضح مثال على علاقته بالآخرين ما قاله في داليتيه المشهورتين لسيف الدولة، حيث يقول في أولاهما:

أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعراً فإنّما
بشِعْري أتاكَ المادِحونَ مُرَدَّدَا
وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني
أنَا الطّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصّدَى..

ويقول في الأخرى:

خليليَّ إنّي لا أرَى غيرَ شاعِرٍ
فَلِمْ منهُمُ الدّعوَى ومني القَصائِدُ
فَلا تَعْجَبَا إنّ السّيُوفَ كَثيرَةٌ
وَلكِنّ سَيفَ الدّوْلَةِ اليَوْمَ واحِدُ

ويمكنك تدبر هذه المعاني في قصائده الأخرى وفيما نقلتُ لك كفاية، وأختم الحديث عن علاقته بالشعراء الآخرين بهذه الأبيات من لاميته التي أعتبرها شخصياً من أجود ما كتب المتنبي بل مما كُتب في الشعر العربي عموما:

أنَا السّابِقُ الهادي إلى ما أقُولُهُ
إذِ القَوْلُ قَبْلَ القائِلِينَ مَقُولُ
وَما لكَلامِ النّاسِ فيمَا يُرِيبُني
أُصُولٌ وَلا لِلقَائِلِيهِ أُصُولُ
أُعادَى على ما يُوجِبُ الحُبَّ للفَتى
وَأهْدَأُ وَالأفكارُ فيّ تَجُولُ
سوَى وَجَعِ الحُسّادِ داوِ فإنّهُ
إذا حَلّ في قَلْبٍ فَلَيسَ يحُولُ
وَلا تَطْمَعَنْ من حاسِدٍ في مَوَدّةٍ
وَإنْ كُنْتَ تُبْديهَا لَهُ وَتُنيلُ...

وسأختم مقالاتي عن المتنبي بهذه القطعة التي ألقيتها بمناسبة ذكرى وفاته رحمه الله:

طموحُ عُلاكَ يختصرُ الكرامة
وتاريخ البطولة والشهامة
وشِعرُكَ صارِمٌ من شفرتيه
نما عشقُ السيادة والزعامة
فعلَّمنا أصول المجد فيه
وقامت في الزمان به القيامة
وأنت طموحُ دهر مستفز
لكلِّ كرامةٍ وعُلُوِّ هامة
فآثرت المعالي والعوالي
وآثر غيرُك الأدنى السلامة
وكم لك في زمانك من ذمام
فما للدهر لا يرعى ذمامه
وفي عينيك حزنٌ سرمديٌّ
كأن وراءه أمسى أمامه
وأنت الطائر المحكيُّ فيه
وأنت مطهّمٌ أرخوا زمامه
تذمُّ أهيله الفانين فيه
وتُكرِمُ بالمديح به كرامة
ولم تقنعْ بدون النجم فيه
وما كلٌّ رأى نجماً فرامه
وأنت بعرش شعرك مستقلٌّ
نداماك المذاكي لا المدامة
وأنت بشعرك الأعلى مقاماً
ومن حفظ العلى حفظت مقامه

قصة كتاب

• عبد الرحمن ولد محمد باب

ميسر الجليل شرح مختصر خليل

العلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني

بعد حرب شرببه الضروس في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي نشطت قبائل الزوايا المهزومة في مجالين مختلفين هما علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية والطرق الصوفية التي كانت الشاذلية أولاها دخولا إلى البلاد حسب عبارة ولد الحسن في مقاله حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا حوليات كلية الآداب 1989م العدد الأول.

شهد القطر الشنقيطي نهضة غير مسبوقة في القرن الثالث عشر الهجري، مما جعل الدكتور أحمد وجمال ولد الحسن يخصها بالدراسة في أطروحته للدكتوراه الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري وأضاف إليه تحقيقه لديوان ابن امبوجة العلوي الذي حصل على نسخة نادرة منه أكمل بها مدونة الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري.

شملت هذه النهضة إلى جانب الشعر العربي نهضة في مجال التأليف في الفقه والأصول وعلوم الشريعة حتى نبغ أعلام في كل فن بدءا بالفقه، ومرورا بالأصول والعقيدة والسيرة والتاريخ، وانتهاء بالطب الذي ألف فيه أوفى بن الفغ مصر تتميما لتلك النهضة التي كان من أعلامها أمثال حرمة بن عبد الجليل والشيخ سيديا ومحمذن فال ولد متالي ومحنض بابه بن اعبيد الديماني، وغيرهم.

المؤلف

هو محنض بابه ابن اعبيد الديماني وقد خصه بالترجمة حفيده محنض بابه بن امين في مقدمته لميسر الجليل في طبعته الثانية وقد تلقى تعليما أوليا على والدته حيث عاش يتيما منذ الصغر فكانت له حافظة قوية حيث حفظ القرآن وهو صغير ثم درس على أعلام من أهل بلده قبل أن يتلقى تكوينا مركزا في الفقه في محظرة خاله.

وبعد أن حصل ما تيسر له من العلم بدأ في تأسيس محظرته التي استمرت زهاء خمسين عاما وتخرج على يديه الكثير من العلماء.

وقد نصبه أمير الترارزة محمد الحبيب قاضيا في إمارته وكان إليه المفزع في الفتوى والنوازل وكان يرى أن تطبيق الأحكام لمن هو قادر على ذلك متعين حتى في غيبة الإمام وقد عارضه الفقهاء في ذلك حين أقام الحد مرتين.

الكتاب

هو ميسر الجليل لمؤلفه محنض بابه شرح به مختصر خليل بعد أن تيسر له الحصول على عدد من الكتب التي لم تكن متوفرة في محيطه، حسبما أشار إليه في بداية الكتاب.

مكث في تحريره أربعين سنة واختصره في مجلدين وأصله الكبير أربعة مجلدات أي الميسر الكبير، وقد تداولته الأيدي بالشراء والنسخ لأهميته في فروع المذهب المالكي وعودته إلى الأمهات فقد كان معتمدا في الفتوى في كافة الإقليم.

وطريقته في الشرح أن يمزج عبارته بعبارة المختصر مراعيا سلامة التركيب النحوي ويعدد الأمهات التي عاد إليها في تحريره للفرع فجاء في طبعته الأخيرة الصادرة عن دار الرضوان في